

استواء الله تعالى على العرش وأدلته من القرآن

ذكر الله تعالى الاستواء في سبعة مواضع من القرآن: في سورة الأعراف، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وكذا في سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد، وفي سورة يونس؛ يذكر الله أنه: { اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } أنه: { عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } الأمة، يعني: سلف الأمة يؤمنون بأن ذلك حقيقة، أن الله تعالى استوى على العرش، ولكنهم يتوقفون عن كيفية الاستواء فيقولون: الاستواء معلوم والكيف مجهول يعني: أن الاستواء لفظة معلومة؛ تفسر وترجم من لغة إلى أخرى... ولكن لاستواء الله تعالى كيفية لا يعلمها إلا هو، الكيفية هي المجهولة، وأما حقيقة الاستواء فإنها معلومة. يقول العلماء: إذا قيد الاستواء بلفظ على فإنه العلو، العلو والارتفاع قال الله تعالى: { لَسْتَوْوَا عَلَى طَهْوَرِهِ } يعني: علي ظهور الإبل والسفن التي تركبونها، وقال تعالى: { وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } يعني: السفينة سفينة نوح استوت يعني: ارتفعت على الجودي وقال تعالى: { فَأَزْرَهُ فَاسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ } يعني ارتفع على سوقه. فهو دليل على أن الاستواء بمعنى العلو، وهذا هو قول أهل السنة، وذكر ابن القيم أن أهل السنة لهم أربعة تفاسير في هذه اللفظة، فيقول في النونية رحمه الله: هذا وسادس عشرها إجماع أهل العلم أعني حجة الأزمان من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران ثم يقول: ولهم عبارات عليها أربع قد حررت للفارس الطعان وهي استقر، وقد علا، وكذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران وكذلك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني يختار هذا القول في تفسيره أدري من الجهمي بالقرآن والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان فهكذا يفسره السلف يقولون: استوى بمعنى علا، استوى بمعنى ارتفع، استوى بمعنى استقر، استوى بمعنى صعد، وأبو عبيدة وهو معمر بن المثنى أحد علماء اللغة يقول: استوى بمعنى صعد؛ ذكر أن أناسا جاءوا إليه، وطرقوا الباب وهو في عليته له، فلما عرفهم قال: استووا أي: ارتفعوا، اصعدوا. فهو يفسر استوى بمعنى صعد، استوى يعني: صعد هكذا تفسيرهم لهذه اللفظة، ولكنهم يقولون: الاستواء معلوم ولكن له كيفية، وهذه الكيفية مجهولة؛ فلذلك نتوقف عن تكييفها، وهكذا يقولون في سائر صفاته، إذا أثبتنا لله تعالى اليد، واليمين في قول الله تعالى: { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } وفي قوله تعالى: { يَبِيْدُ الْمُلْكُ } { يَبِيْدُ الْخَيْرُ } { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي } { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } فنقول لله يد حقيقية، ولكن لا نعلم كيفيةها، الكيفية مجهولة. أثبت الله تعالى اليد، وأثبت اليمين في قوله تعالى: { وَالسَّمَاءِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ } . وإذا أثبتنا لله تعالى العين ولكن لا نكفيها، ونقول: العين معروفة، ولكن كيفيةها غير معلومة لنا، الكيف مجهول. وهكذا أيضًا ثبت لله أنه يجيء لفصل القضاء، وأنه ينزل في آخر كل ليلة، ونقول: النزول معلوم والكيف مجهول؛ فله كيفية مجهولة لا يعلمها إلا هو، وكذلك يقال في بقية صفاته؛ يقول ابن القيم والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان الأشعري هو أبو الحسن أبو الحسن رحمه الله كان في أول أمره معتزليًا، ثم إنه تحول وصار على طريقة ابن كلاب وأثبت لله سبع صفات ونفى الباقي، ثم في آخر عمره هداه الله تعالى، وترك هذه الطريقة واتبع طريقة الإمام أحمد وكتب علي ذلك كتابه الذي سماه: "الإبانة"، وكذلك كتاب المقالات: "مقالات الإسلاميين". في كتاب الإبانة لما ذكر الاستواء، ذكر أن المعتزلة ونحوهم يقولون: استوى بمعنى استولى، فأنكر ذلك وقال: لو كان استوى بمعنى استولى ما كان الاستواء خاصًا بالعرش؛ فالاستيلاء عام فلا يجوز أن يخص العرش بالاستيلاء، نقول: الله استولى على الخلق، واستولى على الأرض، واستولى على الجبال، واستولى على الدواب وعلى الحشرات ونحوها؛ فإنه مستولى عليها بمعنى أنه محيط بها، وأنه قاهر لها؛ فلا يكون هناك خصوصية للعرش، وقد أجمع العلماء على أنه لا يقال: إن الله استوى على الحشوش، ولا استوى على الحشرات بل الاستواء خصه الله تعالى بالعرش. ثم إن الذين قالوا: استوى بمعنى استولى، لهم بيت يستدلون به ينسبون إلى الأخطل أنه يقول: قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق وهذا يظهر أيضًا أنه مكذوب لا دليل عليه، وليس له إسناد صحيح، ثم لو قدر أنه عن الأخطل فالأخطل نصراني لا يستدل بكلامه؛ ولهذا قال ابن القيم ودليلهم في ذلك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني يعني أنه ليس بثابت وأنه قاله هذا النصراني. ثم إن بعضهم تناولوا العرش بأنه الملك، فقالوا: استوى على العرش يعني: استوى على الملك، وليس هناك عرش استوى عليه، وهذا يخالف ما ذكره الله، فالله تعالى سماه العرش، والعرش في اللغة سرير الملك، وقد ذكر الله تعالى جنسه؛ فقال تعالى عن بلقيس { وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ } { أَيْكُمْ يَا بَنِي بَعْرِشَهَا } { تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا } { أَهَكَدَا عَرْشُكَ } سرير كانت ترتفع عليه، وكذلك كان ليوسف قال تعالى: { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ } فدل على أن العرش هو السرير العظيم، وجاءت الأدلة بأن العرش مخلوق عظيم، وأنه خلقه قديما يقول ابن القيم والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الرحمن هل كان قبل العرش أم هو بعده قولان عند أبي العلاء الهمداني والحق أن العرش قيل؛ لأنه وقت الكتابة كان ذا أركان وقد ذكر الله تعالى عظمته في قوله: { وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } { رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } { ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ } وذكر حملته في قوله تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ } وذكر من يحف حوله في قوله: { وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ } فهل يقال في هذه الآيات كلها إنه الملك؟! لا شك أن هذا تحريف. فنؤمن بأن لله تعالى عرش عظيم لا يقدر قدره إلا هو، ونؤمن بأنه خصه بالاستواء عليه، ونؤمن بأنه مع ذلك قريب من عباده لا يخفى عليه منهم خافية.